من منشورات مكتبة مسجد الانصار في هرجيسا

إرشاد الطلاب إلى معالي الآداب

تأليف

أبي زرعة عبد الرحمن يوسف جوليد

تقديم

أصحاب الفضيلة

أبو خالد أحمد عبد السلام آدم (أحمد إيد)

أبو حذيفة عبد الرحمن محمد علي (الطويل)

أبو الحسن موسى محمد عبد الرحمن (ترح)

الاهداء

أهدي هذا العمل المتواضع إلى :

إلى أمي وأبي : براً بهما واعترافاً بحقهما وفضلهما ودعاءً مستمراً لهما

إلى أساتذتي ومشائخي الكرام تقديراً واحتراماً ودعاءً برفع درجاتهم في جنات النعيم

إلى أخواني وأخواتي وكل من تربطني به رحم أو قرابة حباً وكرامة

إلى كل أخ وأخت له حق عليّ : نصحاً ووفاءً

إلى كل من رضي بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبياً ورسولاً

دعوة للتمسك بكتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعاء بالتوفيق والسداد

والمغفرة والرحمة من رب العباد

محبكم : أبوزرعة

الشكر والعرفان

بعد شكر الله عزّ وجلّ أسجل خالص الشكر والعرفان إلى مشائخي وأساتذتي وأخص بالذكر فضيلة الشيخ أبو عبد الرحمن عبد الله حسن حاشي البربراوي وفضيلة الشيخ أبو حذيفة عبد الرحمن محمد علي وفضيلة الشيخ أبو خالد أحمد عبد السلام آدم (إيد) وفضيلة الشيخ أبو الحسن موسى محمد عبد الرحمن (ترح) حفظهم الله ورعاهم ، حيث شرفوني بمراجعة وتفحيص هذه الرسالة وأتحفوني بقوائد قيّمة وأفادوني بملحوظات مهمة فجزاهم الله خير الجزاء وكثّر الله أمثالهم في الأمة الإسلامية

ثم لكل صاحب فضل ممن كان له دور في إتمام هذا العمل على هذا الوجه وخروجه إلى النور كي ينتفع به كل من يقرؤه ولله الحمد في الأولى والآخرة

تقديم فضيلة الشيخ

أبو الحسن موسى محمد عبد الرحمن (ترح)

الحمد لله حمداً طيباً كثيراً مباركاً فيه كما يحب ربنا ويرضى ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أما بعد/

فقد قرأت رسالة الأخ الفاضل والطّالب المجدّ : أبوزرعة عبدالرحمن يوسف جوليد والتي أسماها إرشاد الطلاب إلى معالي الآداب فوجدتها رسالة نافعة مفيدة في بابها مع وجازتها وما أحرى بطلاب العلم أن يتحلّوا بتلك الآداب والأخلاق السامية ، وأن موضوع أدب طالب العلم من المواضيع التي اهتم بها العلماء قديماً وحديثاً ، فمنهم من ألف في ذلك المؤلفات المستقلة ومنهم من أدرج ذلك في كتب العلوم الشرعية وهذا يدل دلالة واضحة على أهمية أدب الطلب ، والناس في هذا الباب – أعني أدب الطلب مع شيخه - طرفان ووسط :-

الطرف الأول : أهل التفريط وهم أهل الجفاء الذين يفرطون ويقصرون في أداء حقوق مشائخهم من التقدير والتبجيل بل من هذا الصنف من تعدى وطغى وتحامل على من تعلّم منه العلم والخير والتوحيد والسنة ، وربما سعى إلى إيذاء شيخه وتشويه سمعته ، وهذا مشئوم محروم من الخير ، ولن يفلح في العلم فاحذر أن تكون من هذا الصنف وهم أهل الجفاء ،

القسم الثاني : أهل الإفراط وهم الذين يغلون في احترام المشائخ ويجاوزون الحدّ الشرعي في ذلك وينتج من ذلك أن يقدّس شيخه وأن يتابعه فيما أخطأ فيه وأن يتعصب له وأن يقلّده في كل ما يقول ويفعل وقد وقع في هذا طوائف وأناس وأشخاص مختلفون معظمهم من متعصبة المذاهب والأحزاب والفرق الضالة وحصل شيء من هذا مع الأسف من بعض المنتسبين إلى السنة والاعتناق للدعوة السلفية ولا شك أن هذا خطأ وخلل يخالف الطريقة السلفية السنية فاحذر يا طالب العلم أن تكون من هذا الصنف أيضاً وهم أهل الغلو والإفراط فإنهم على خطر عظيم .

القسم الثالث : هم أهل الوسط في التعامل مع مشائخهم وهم الذين يراعون حقوق مشائخهم من احترام وتقدير وتأدباً

ودعاء لهم ويعاملونهم بالمعاملة الحسنة في حدود الشرع وهؤلاء هم أهل الحق والوسط ودين الله بين الغالي والجافي فاحرص أن تكون من هذا الصنف واحذر الغلو والإفراط فإن كلا الطرفين ذميم ، وأوصي لجميع طلاب الاهتمام فيما كتبه العلماء الربانيون في آداب طلب العلم من جميع جوانبه ، سواء فيما يتعلق بأدب طلب العلم نفسه أو فيما يتعلق بأدب الطالب مع معلمه أو مع زملائه أو مع سائر الناس ويدخل فيه أدب الطالب مع والده ، وقبل هذا كله وفوقه أدب الطالب مع خالقه ، وقد ساهم أخونا والطالب النجيب في هذا الباب فجزاه الله خيراً والحمد لله ربّ العالمين .

كتبه : أبوالحسن موسى محمد عبدالرحمن (ترح)

تقديم فضيلة الشيخ

أبوخالد : أحمد بن عبدالسلام بن آدم (أحمد إيد)

الحمدلله ربّ العالمين والصلاة والسلام على من لا نبي بعده أما بعد/

فقدناولني الأستاذ الكريم والداعية المفضال : أبوزرعة (عبدالرحمن يوسف جوليد) رسالته المسماة بـــ (إرشادالطلاب إلى معالي الآداب) والتي طابق اسمها مسماها وطلب مني أن أقدّم له هذه الرسالة فأجبته إلى طلبه مع علمي بأنني لست من أهل ذلك المسلك ولا من فرسان هذا الميدان فقرأت الرسالة كلّها فوجدتها على صغر حجمها مفيدة في بابها جديرة بالاستفادة والاقتناء ومما زادها شرفاً وفضلاً أنها طرقت باباً تمسّ إليها الحاجة في هذه الآونة المتأخرة في وقت قلّ فيه الأدب بين طلبة العلم سواء فيما بينهم أو مع مشائخهم أو مع سائر المجتمع فلا يوقّرون كبيراً ولا يحترمون ذا الشيبة المسلم ولا يبجّلون شيخاً ولا يرحمون صغيراً .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إن من إجلال الله إكرام ذي الشيبة المسلم) أخرجه البخاري في الأدب المفرد عن أبي موسى الأشعري وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد .

وقال ايضاً : (ليس منا من لم يجلّ كبيرنا ويرحم صغيرنا ويعرف لعالمنا حقه) ذكره الألباني في صحيح الجامع برقم (٥٤٤٣) عن عبادة بن الصامت . مع أن الأدب قبل الطلب والعلم ممن لا أدب له كسيف بيد مجنون فكما أن المجنون إذا أخذ السيف يهلك به الحرث والنسل ولا يبقي ولا يذر فكذلك من عنده علم بلا أدب لا يراعي لذي حرمة حرمته ولا لذي حق حقه بل يهجم به على الجميع وهذا خلاف ما عليه أهل السنة من الرحمة والتراحم .

فأهل السنة أعلم الخلق بالحق وأرحم الخلق للخلق ، فيا من ينتسب إلى العلم والسنة تكلم بعلم أو اسكت بحلم. أين حلمك يا من يتحامل على إخوانه بغير علم . إن بعض الطلبة ساء أدبهم مع علماءهم فسلبهم الله بركة العلم وحرمهم لذة العافية فأصبحوا نادمين وبعضهم عرفوا الطريق المظلم

الذي سلكوه فتابوا إلى الله ورجعوا إلى مشائخهم معتذرين عما بدر منهم سابقاً من سوء أدب فلله الحمد على عودتهم والله أسأل أن يهدي الباقي من هؤلاء أو يريحنا منهم كما أراحنا من كثير من الظلمة إن لم يرد الله لهم الهداية فقد آذوا عباد الله في الحل والحرم وشوهوا سمعة الدعوة السلفية في نظر الناس ونفرّوا عنها الشباب وجلبوا لها الشماتة وأصبحوا سلاحاً فتّاكاً جاهزاً بيد المخالفين يستخدمونه ضدّ هذه الدعوة المباركة فأسأل الله بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يريح من الدعوة السلفية من كل من يؤذيها ويظلمها إلا من أراد الله لهم الهداية فاللهم أهدهم عاجلاً غير آجل (وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون)

وأقول للمخالفين في هذه المناسبة لا تفرحوا بتصرفات هؤلاء الظالمين ولا تظنوا أن هذا يقضي على هذه الدعوة المباركة كما تزعمون لا والله فهي دعوة مباركة معصومة المنهج وهي دعوة ربانية لها ربّ يحميها ونحن لكم بالمرصاد .

أخيراً فقد بذل الكاتب حفظه الله في هذا الكتاب مجهوداً مباركاً فأسأل الله أن يبارك فيه وفي علمه ودعوته وأنصحه بالمزيد من البذل والعطاء في هذه المسيرة العلمية المباركة وفق الله الجميع لما يحبه ويرضاه آمين وسبحانك اللهم بحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك .

كتبه : أبوخالد أحمد بن عبدالسلام بن آدم (أحمد إيد)

يوم الأحد السابعة عشر من ربيع الأول عام ١٤٣٢هـ

تقديم فضيلة الشيخ

أبوحذيفة عبدالرحمن محمد علي

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه أما بعد /

فإني أحمد الله الذي لا إله إلا هو أن جعل في أمة خير الأنبياء والمرسلين من يواصل الخير من طلبة العلم ويحيي ذكر من سلف ويسير على دربهم . ولقد قرأت هذه الرسالة اللطيفة التي جمعها الأخ المبارك : أبوزرعة عبدالرحمن يوسف جوليد رعاه الله وزاده علماً وبصيرة على مهل وأمعنت النظر فيها فاستفدت منها الشيئ الكثير ووجدتها مع صغر حجمها كثيرة الفائدة عظيمة النفع لا يستغني عنها المبتدئ ، ويتذكّر ويستعين بها المنتهي وقد اشتملت على أبواب مهمة وفصول عظيمة في التحلي بالآداب والأخلاق في طلب العلم .

وجامعها مع صغر سنه فقد حمل همّاً عظيماً لتنبيه إخوانه طلبة العلم على هذه الآداب والأخلاق الكريمة فجزاه الله خيراً ونفع به الجميع ، وأنصحه أن يزيد البحث ويواصل الدّرب ويضيف إلى هذه الأبواب أبواباً أخرى ليعم النفع وتكثر الفائدة .

وما هذه إلا من بركة الدعوة السلفية التي وفق الله كثيراً من طلاب العلم إلى الانتساب إليها والسير على منهاجها وما أحوج دعاة الدعوة السلفية اليوم إلى الاعتزاز بهذه الدعوة المباركة والحرص عليها والذوذ عنها مع التأني وعدم العجلة في قطف الثمار ، نفع الله بهذه الرسالة جامعها وقارئها إنه ولي ذلك والقادر عليه وصلى الله وسلم على خير الورى ونبي الهدى محمد بن عبدالله وعلى آله وصحبه وسلم .

كتبه / أبوحذيفة عبدالرحمن محمد علي الأثري

يوم الأربعاء الثالثة عشر من ربيع الأول عام ١٤٣٢هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه ثقتي

الحمد لله الذي جعل في كل فترة من الرسل بقايا من أهل العلم يدعون من ضلّ إلى الهدى ويصبرون على الأذى يحيون بكتاب الله تعالى الموتى ويبصرون بنور الله أهل العمى فكم من قتيل لإبليس قد أحيوه وكم من ضال تائه هدوه فما أحسن أثرهم على الناس وما أقبح أثرالناس عليهم ! ينفون عن

كتاب الله تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد /

فإن أدب المرء عنوان سعادته وفلاحه وقلة أدبه عنوان شقاوته وبواره فما استجلب خير الدنيا والآخرة بمثل الأدب ولا استجلب حرمانها بمثل قلة الأدب .

فالأدب حلية طلاب العلم وقد بلي كثير من الناس بالإعراض عن طلب الأدب فلا أدب ولا تربية وهذا أمر خطير يولد في المجتمع خاصة والأمة عامة شريحة تحمل الجفاء والغلظة والقسوة مع كل أحد .

ولما رأيت ما ساد في هذه الأيام بعض طلاب العلم وشباب الأمة من خلل في الآداب وتقاعس عن طلب العلم وانشغال بقيل وقال ،كانت هذه التذكرة الصغيرة إلى أخواني وأخواتي مع قلة علمي وفهمي لتكون عوناً لهم بعدالله في تحصيل العلم والحذق في تحصيله ، وسميتها (إرشاد الطلاب إلى معالي الآداب) وقد جمعت فيها ما سمعته من علمائنا ومشائخنا ومررت به عند مطالعة الكتب واستفدته من مذاكرتهم فوجدت مادة غزيرة اقتطفت منها بعض الثمار اليانعة من جميل قولهم وربطت بينها بعبارات قصيرة فأخرجتها في قالب واحد كحبات لؤلؤ قد شكت في خيط من ذهب وقدمت على ذلك باباً مختصراً في فضل العلم والعلماء على وجه التأوالاقتداء،

وكتبت قبل ذلك نموذجاً من أقوال الأئمة الأعلام في أخذ الآداب وقدرتبتها على خمسة أبواب تحيط مقصود الرسالة .

وأسأل الله تعالى أن ينفع بها الطلاب والطالبات وأن يجعلها في ميزان أعمالي يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم إنه على ذلك قدير وبالاجابة جدير والحمد لله رب العالمين .

محبكم في الله : أبوزرعة (عبدالرحمن يوسف جوليد)

مكتبة مسجد الأنصار المعمورة

يوم السبت التاسعة من ربيع الأول عام ١٤٣٢هـ

نماذج من أقوال الأئمة في أخذ الأدب والعلم(١) :

١/ روى إمام مالك رحمه الله عن ابن سيرين أنه قال""كانوا يتعلمون الهدي كما يتعلمون العلم "" يعني السلف .

٢/ وقال سفيان بن عيينة رحمه الله : "" أن رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الميزان الأكبر وعليه تعرض الأشياء على خلقه وسيرته وهديه فما وافقها فهو الحق وما خالفها فهو الباطل ""

٣/ وقال حبيب بن الشهيد لابنه يا بني اصحب الفقهاء والعلماء وتعلم منهم وخذ من آدابهم فإن ذلك أحب إليّ من كثير من الحديث ""

٤/ وقال بعضهم لابنه يا بني لأن تتعلم باباً من الأدب أحبّ إليّ من أن تتعلم سبعين باباً من أبواب العلم ""

٥/ وقال مخلد بن الحسين لابن المبارك نحن إلى كثير من الآداب أحوج منّا إلى كثير من الحديث

٦/ وقيل للشافعي رحمه الله تعالى : كيف شهوتك للأدب فقال أسمع بالحرف منه مما لم أسمعه فتود أعضائي أن لها أسماعاً فتنعم به، وقيل: كيف طلبك له قال طلب المرأة المضلة ولدها وليس لها غيره.

---

(١) فهذا نقل حرفي من كتاب تذكرة السامع والمتكلم لابن جماعة رحمه الله .

الباب الأول :

فضل العلم والعلماء:

لا يعرف قدر العلم إلا من عرف فضله: وفضائل العلم كثيرة لا يمكن استقصاؤها في مثل هذه الرسالة الصغيره، ولكن نشير إلى بعض هذه الفضائل الواردة في الكتاب والسنة ودرر من أقوال علماء أهل السنة والجماعة قديماً وحديثاً.

١/ قال تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ (١)

فجعلهم الله فرقتين أوجب على إحداهما الجهاد في سبيله وعلى الأخرى التفقه في دينه لئلا ينقطع جميعهم إلى الجهاد فتندرس الشريعة ولا يتوفروا على طلب العلم فيغلب الكفار على الملة فحرس بيضة الإسلام بالمجاهدين وحفظ شريعة الإيمان بالمعلمين .

ولشيخنا عبدالله البربراوي كلام نفيس في شرح هذه الآية في مقدمة شرح كتاب الياقوت النفيس .

وقد أمر الله بالرجوع إلى العلماء ومساءلتهم في أمور الدين ورفع ذكرهم وأعلى منزلتهم وقرن شهادتهم بشهادته وما ذاك إلا لفضلهم وعلو قدرهم ،

قال تعالى : شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ (٢)

(١) سورة التوبة – آية ١٢

(٢) سورة آل عمران – آية ١٨

قال الإمام القرطبي رحمه الله في تفسيرها "" في هذه الآية دليل على فضل العلم وشرف العلماء وفضلهم فإنه لوكان أحد أشرف من العلماء لقرنهم الله باسمه واسم ملائكته كما قرن باسم العلماء[١]

ويقول العلاّمة ابن القيم رحمه الله "" استشهد سبحانه بأولى العلم على أجل مشهود عليه وهو توحيده فقال شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ) وهذا يدل على فضل العلم وأهله من وجوه :

أحدها : استشهادهم دون غيرهم من البشر .

الثاني : اقتران شهادتهم بشهادته .

الثالث : أن من ضمن هذا تزكيتهم وتعديلهم فإن الله لا يستشهد من خلقه إلا العدول[٢]

٢/ وقال تعالى : وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالاً نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ ۖ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ[٣]

يقول العلاّمة السعدي رحمه الله : وهذه الآية وإن كان سببها خاصاً بالسؤال عن حالة الرسل المتقدمين لأهل الذكر وهم أهل العلم فإنها عامة في كل مسألة من مسائل الدين أصوله وفروعه ، إذا لم يكن عند الإنسان علم منها ، أن يسأل من يعلمها ، ففيه الأمر بالتعليم والسؤال لأهل العلم[٤]

وأفضل ما كتبته النفوس وحصلته القلوب ونال به العبدالرفعة في الدنيا والآخرة هو العلم والإيمان ولهذا قرن بينهما سبحانه في قوله "" وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَٰنَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِ ۖ فَهَٰذَا يَوْمُ ٱلْبَعْثِ وَلَٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ[٥]

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ٤١/٤

(٢) مفتاح دار السعادة ٢١٩/١

(٣) سورة الأنبياء – الآية ٧

(٤) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنّان ص٥١٩

(٥) سورة الروم – الآية ٥٦

٣/ وقولهِ تعالى : يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمۡ تَفَسَّحُواْ فِي ٱلۡمَجَٰلِسِ فَٱفۡسَحُواْ يَفۡسَحِ ٱللَّهُ لَكُمۡ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ[١] ، لقد رفع الله جلّ وعلا في هذه الآية درجة المؤمنين العالمين فوق درجة جهلة المؤمنين - وفي كل خير -

قال الإمام القرطبي رحمه الله في تفسيرها "" الثواب في الآخرة و الكرامة في الدنيا فرفع المؤمن على من ليس بمؤمن والعالم على من ليس بعالم[٢]

وقال ابن مسعود رضي الله عنه : مدح الله العلماء في هذه الآية[٣]

وقال العلاّمة الشوكاني : ""يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ "" في الدنيا والآخرة بتوفير نصيبهم فيهما "" وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖ "" أي يرفع الذين أوتوا العلم منكم درجات عالية في الكرامة في الدنيا والثواب في الآخرة ومعنى الآية أنه يرفع الذين آمنوا على من لم يؤمن درجات ويرفع الذين أوتوا العلم على الذين آمنوا درجات فمن جمع بين الإيمان والعلم رفعه الله بإيمانه درجات ثم رفعه الله بعلمه درجات[٤]

ولإختلاف تلك المنازل والدرجات فإن الله عزّ وجلّ نفى التسوية بين أهل العلم والعوام فقال عزّ من قائل علياً "" أَمَّنۡ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ سَاجِدٗا وَقَآئِمٗا يَحۡذَرُ ٱلۡأٓخِرَةَ وَيَرۡجُواْ رَحۡمَةَ رَبِّهِۦۗ

قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ[٥]

قال الزجاج رحمه الله : كما لايستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون كذلك لا يستوي المطيع والعاصي[٦]

---

(١) سورة المجادلة – الآية ١١

(٢) الجامع لأحكام القرآن ١٩٤/٩

(٣) نقله القرطبي في تفسيره ١٩٤/٩

(٤) فتح القدير ٢٣٢/٥

(٥) سورة الزمر – الآية ٩

(٦) نقله القرطبي في تفسيره ١٥٦/٨

المنزلة الرفيعة والمكانة العلية لأئمة الهدى ومصابيح الدجى فقد قال الإمام الشاطبي في كتابه الإعتصام (إن الله سبحانه شرّف أهل العلم ورفع أقدارهم وعظّم مقدارهم ودلّ على ذلك الكتاب والسنة والإجماع .

ولقد أحسن وأجاد من قال :

أخو العلم حيّ خالد بعد موته وأوصاله تحت التراب رميم

وذو الجهل ميت وهو ماش على الثرى يظن من الأحياء وهو عديم

وأما أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم في فضل العلم وأهله فمنها الشئ الكثير :

١/ في الصحيحين من حديث معاوية رض الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين)

قال الإمام الآجري : فلما أراد الله تعالى بهم خيراً فقههم في الدين وعلمهم الكتاب والحكمة وصاروا سراجاً للعباد ومناراً للعباد[١]

وعنه صلى الله عليه وسلم (العلماء ورثة الأنبياء) وحسبك يا طالب العلم فضل العلم وأهله هذه الدرجة مجداً وفخراً وبهذه الرتبة شرفاً وذكراً فكما لا رتبة فوق رتبة النبوة فلا شرف فوق شرف وارث تلك الرتبة .

٢/ وعنه صلى الله عليه وسلم : لماذكر عنده رجلان أحدهما عابد والآخر عالم فقال : فضل العالم على العابد كفضلي على أدنكم

فانظر يا طالب العلم كيف جعل العلم مقارناً لدرجة النبوة وكيف حط رتبة العمل المجرد عن العلم وإن كان العابد لا يخلو من علم بالعبادة التي يواظب عليها ولولاه لم تكن عبادة .

٣/ أخرج أحمد وابن حبان من حديث أبي الدرداء أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (من سلك طريقاً يلتمس به علماً سهّل الله به طريقاً إلى الجنة وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضاء بما يطلب وإن العالم ليستغفر له من في السموات والأرض حتى الحيتان في الماء وفضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب وإن العلماء ورثة الأنبياء وإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً وإنما ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر)

(١) أخلاق العلماء ص٩٤

قال العلاّمة ابن رجب رحمه الله : "" يعني أنهم ورثوا ما جاء به الأنبياء من العلم فهم خلفوا الأنبياء في أممهم بالدعوة إلى الله وإلى طاعته والنهي عن معاصي الله والذود عن دين الله .

ولشيخنا عبدالله البربراوي محاضرة قيمة أحسن وأجاد في شرح هذا الحديث وأطال النفس فيه فليراجع .

٤/ وعنه صلى الله عليه وسلم : يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين[١]

ولقد أحسن الشاعر عندما عرض مناظرة بين العلم والعقل وبين فضل العلم على العقل فقال :

علم العليم وعقل العاقل اختلفا من ذا الذي منهما قدأحرز الشرفا

فقال العلم أناأحرزت غايته وقال العقل أنا الرحمن بي عرفا

فأفصح العلم افصاحاً وقال له بأينا الرحمن في قرآنه اتصفا

فبان للعقل أن العلم سيده فقبل العقل رأس العلم وانصرفا

وأما كلمات أهل العلم وأقوالهم فمنها شئ لطيف وجميل في فضل العلم والعلماء :

١/ قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه "" العلماء باقون ما بقي الدهر أعيانهم مفقودة وآثارهم في القلوب موجودة[٢]

٢/ وقال ابن مسعود رضي الله عنه : نعم المجلس مجلس تنشرفيه الحكمة وترجى فيه الرحمة [٣].

٣/ وقال بعض السلف في ذم الجهل "" خير المواهب العقل وشرّ المصائب الجهل[٤]

٤/ وقال أبومسلم الخولاني رحمه الله : العلماء في الأرض مثل النجوم في السماء إذا بدت اهتدوا بها وإذا خفيت عليهم تحيروا[٥]

---

(١) رواه البيهقي وقد روي الحديث مرسلاً وموصولاً من طريق جماعة من الصحابة وصحح بعض طرقه الحافظ العلائي والخطيب وصححه العلامة الألباني

(٢) جامع بيان العلم وفضله ٦٨/١

(٣) جامع بيان العلم وفضله ٦٠/١

(٤) أورده المناوي في فيض القدير شرح الجامع الصغير

(٥) تذكرة السامع والمتكلم لابن جماعة ص١٠

٦/ وقال وهب : يتشعب من العلم الشرف وإن كان صاحبه دنيئاً والعزّ وإن كان مهيناً والقرب وإن كان قصياً والغنى وإن كان فقيراً والمهابة وإن كان وضيعاً[١] .

٧/ وقال سفيان بن عيينة : أرفع الناس عندالله منزلة من كان بين الله وبين عباده وهم الأنبياء والعلماء[٢] .

٨/ وقال ايضاً : لم يعط أحد في الدنيا شيئاً أفضل من النبوة وما بعد النبوة شئ أفضل من العلم والفقه فقيل عمن هذا قال عن الفقهاء كلهم[٣] .

٩/ وقال سهل : من أراد النظر إلى مجالس الأنبياء فلينظر إلى مجالس العلماء فاعرفوا لهم ذلك[٤]

١٠/ وقال الشافعي رحمه الله تعالى : إن لم يكن الفقهاء العاملون أولياء الله فليس لله وليّ[٥] .

ومن أشعاره رحمه الله :

العلم مغرس كل فخر فافتخر واحذر تفوتك فخر ذاك المغرس

فلعل يوماً إن حضرت بمجلس كنت الرئيس وفخرذاك المجلس

ومنها ايضاً :

رأيت العلم صاحبه كريم ولو ولدته آباء لئام

فلولا العلم ما سعدت رجال ولا عرف الحلال ولا الحرام

وما أحسن قول أمير شعراء العصر أحمد شوقي رحمه الله

بالعلم والمال يبني الناس ملكهم لم يبن ملك على جهل وإقلال

كفاني ثراء أنني غير جاهل وأكثر أرباب الغنى اليوم جهال

---

(١) تذكرة السامع والمتكلم ص١٠-١١

(٢) تذكرة السامع والمتكلم ص١١

(٣) تذكرة السامع والمتكلم ص١١

(٤) الفقيه والمتفقه ص٣١

(٥) الفقيه والمتفقه ص٣٦

وأعلم أن جميع ما ذكرنا من فضيلة العلم والعلماء إنما هو في حق العلماء العاملين الأبرار المتقين الذين قصدوا به وجه الله الكريم والزلفى لديه في جنات النعيم لا من طلبه بسوء نية أو فساد قصد أو لأغراض دنيوية من جاه أو مال أو مكاثرة في الأتباع والطلاب .

ونختم هذا الباب بدرر من الأبيات الجميلة للخليفة الراشد علي بن أبي طالب رضي الله عنه حيث قال:

ما الفخر إلا لأهل العلم إنهم — على الهدى لمن استهدى أدلاء
وقدركل امرئ ما كان يحسنه — والجاهلون لأهل العلم أعداء
ففز بعلم تعش حياً به أبداً — الناس موتى وأهل العلم أحياء

الباب الثاني
آداب طالب العلم نفسه

اعلم يقيناً يا طالب العلم أن نعم الله عزّ وجلّ عليك لا تعد ولا تحصى كما قال تعالى: وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾ ومن أعظمها أن وفقك ويسر من بين خلق كثير إلى طلب العلم وهداك بأن تكون من ورثة الأنبياء والمرسلين وإن هذا من علامة توفيق الله عزّ وجلّ وإرداته لك الخير كما قال النبي صلى الله عليه وسلم "" من يردالله به خيراً يفقهه في الدين "" فاحمد الله عزّ وجلّ على هذه النعمة العظيمة والمنقبة الجليلة فكم من ناس يعيشون ويتقلبون في عالم مظلم يحيطه الجهل والشرك بالله وتلُّفه الذنوب والمعاصي ولا تنفك عنهم إلا إذا أراد الله بهم خيراً ورحمهم فإنه أرحم الراحمين .

أخي طالب العلم يا رعاك الله .

إن أمة الإسلام أمة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم خير الأمم أجمعها لتنتظر منك عطاء غير مجذوب لا يتوقف بل تتدفق منك ينابيع الخير والعطاء وتشرق من وجهك المبارك أنوار العلم والتقى والعبادة فتعلم الناس وترشدهم وتفقههم في أمر دينهم وما يصلح به حالهم ، فإن طالب العلم ينبغي ألا يكون سلبياً بل إيجابياً يحمل همّ الأمة كمال قيل **(كبير الهمة من يحمل همّ الأمة)** ويتحمل همّ تعليم الناس وإخراجهم من الظلمات إلى النور بفضل ربهم وينبغي أن يؤدي طالب العلم زكاة العلم فإن النبي صلى الله عليه وسلم قا **(بلغوا عني ولو آية)** فهلم يا أخي المبارك نزاحم العلماء في حلق الذكر وننهل من علمهم ونتحلى ونتزين بسمتهم وكريم سجاياهم وأخلاقهم فهم أهل التقى والصلاح ولهم الفضل بعد الله تبارك وتعالى ولتحقيق تلك المآرب يا طالب العلم فعليك أن تتحلى وتتزين من الآداب ما لابد منها لطالب العلوم الشرعية وها أنا أذكرك بعضاً منها وأضع بين يديك معالمها البارزة .

أولا : الإخلاص

إخلاص النية لله تعالى هو المقصود الأول في كل عبادة وطلب العلم من أشرف العبادات والعمل به هو ثمرته فلو نفع العلم بلا عمل لما ذمّ الله سبحانه وتعالى أحبار أهل الكتاب ولو نفع العمل بلا إخلاص لما ذمّ الله المنافقين .

فمن عمّر ظاهره بالسنة وباطنه بالإخلاص تفجر في صدره ينابيع العلم ولم يكد ينطق إلا بالحكمة وأما إذا كان عمله بلا إخلاص كان كالمسافر يملأ حرابه رملاً يثقله ولا ينفعه .

١/ قال الله تعالى: وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ[1]

(١) سورة البينة الآية ٥

٢/ وفي الصحيحين من حديث عمر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عيه وسلم قال : إنما الإعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه .

قال العلاّمة ابن جماعة رحمه الله : حسن النية في طلب العلم بأن يقصد به وجه الله تعالى ويوم القيامة والتعرض لما أعدّ لأهله من رضوانه وعظيم فضله[١]

يقول الإمام الشوكاني رحمه الله :

(إن لحسن النية وإخلاص العمل تأثيراً في هذا المعنى فمن تعكست عليه بعض أموره من طلبة العلم أو أكلف عليه مطالبه وتضايقت مقاصده فليعلم أنه بذنبه أصيب وبعدم إخلاصه عوقب أوأنه أصيب بشئ من ذلك محنة له وابتلاء واختباراً لينظر كيف صبره واحتماله ، ثم يفيض عليه بعد ذلك من خزائن الخير ومخازين العطايا فيمالم يكن بحسبان ولا يبلغ إليه تصوره فليعض على العلم بناجده وليشّد عليه يده ويشرح به صدره فإنه لا محالة واصل إلى المنزلة[٢]

فإذا انقطعت يا طالب العلم عن الطلب فليس هذا إلا لعدم خلوص نيتك فإن المخلص الذي حسنت نيته في طلب العلم يرجى له بركة العلم قال بعض السلف"" طلبنا العلم لغير الله فأبى أن يكون إلا لله"

وقيل لأحمد بن حنبل رحمه الله : "" إن قوماً يكتبون الحديث ولا يرى أثره عليهم وليس لهم وقار ؟ قال أبوعبدالله : يؤولون في الحديث إلى خير[٣]

ولكن على الطالب أن لايستسلم بل يحاول معالجة نيته وإن كانت المعالجة شديدة في أول الأمر ، يقول سفيان الثوري رحمه الله تعالى : ما عالجت شيئاً أشدّ علىّ من نيتي[٤]

وقال حبيب بن أبي ثابت : "" طلبنا هذا العلم وما لنا فيه نية ثم جاءت النية والعمل بعد[٥]

(١) تذكرة السامع والمتكلم بواسطة التأصيل ص١٨

(٢) أدب الطلب ومنتهى الأرب ص١٩

(٣) أورده الخطيب في شرف أصحاب الحديث ص٦١

(٤) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع ٣٣٨/١

(٥) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع ١/ ٣٣٩

يا أخي الطالب : من أخلص نيته في طلب العلم وتحصيله وجدد للصبر عليه عزيمته كان جديراً أن ينال منه بغيته .

ثانياً : الصبر على تحصيل العلم وشدائده .

قال تعالى : وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ (١)

عن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم : أنه قال : الصبر ضياء(٢)

وقال يحيى ابن أبي كثير رحمه الله : لا يستطاع العلم براحة الجسم(٣) .

وقال عبدالله بن عمر : قل لطالب العلم يتخذ نعلين من حديد(٤) .

وقال الشافعي رحمه الله : حق على طلبة العلم بلوغ جهدهم في الاستكثار من العلم على كل عارض دون طلبه(٥)

ما أحسن قول الشاعر :

دببت للمجد والسّاعون قد بلغوا جهد النفوس وألقوا دونه الأزرا

وكابدوا المجد حتى ملّ أكثرهم وعانق من أوفى ومن صبرا

لا تحسب المجد تمراً أنت آكله لن تبلغ المجد حتى تلعق الصبرا

وقال الإمام الشافعي رحمه الله : لا يطلب هذا العلم أحد بالمال وعزّ النفس فيفلح ولكن من طلبه بذلة النفس وضيق العيش وحرمة العلم أفلح(٦)

---

(١) سورة السجدة – الآية ٢٤

(٢) رواه أحمد وابن ماجه والترمذي من حديث أبي مالك الأشعري

(٣) أورده النووي في شرح مسلم باب مواقيت الصلاة

(٤) كتبته من رسالة نصيحتي لطلبة العلم للشيخ مقبل بن هادي الوادعي من غارة الأشرطة على أهل الجهل والسفسطة

(٥) الفقيه والمتفقه ١٠٢/٢

(٦) مشيخة أبي وهب الحنبلي ١١/١

ورحم الله القائل :

لمحبرة تجالسني نهاري أحبُّ إليَّ من أُنس الصديق

ورزمة كاغدٍ في البيت عندي أعزُّ إليَّ من عدل الرفيق

ولطمة عالم في الخد مني ألذّ عليّ من شرب الرحيق

ثالثاً : التحلي بمكارم الأخلاق .

أخي الطالب : من الواجب عليك معاملة الناس بمكارم الأخلاق من طلاقة الوجه وإفشاء السلام وإطعام الطعام وكظم الغيظ وغيرها من مكارم الأخلاق امتثالا بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم

(إن الله يحب معالي الأخلاق ويكره سفسافها[١]

ومعالي الأخلاق هي الأخلاق العالية والفضائل السامية والآداب الكريمة التي يسعى إليها كل مخلص ويجد في طلبها كل حريص وأما من سقط دونها وهو يظن أنه يطلب العلم فغشّ وخاب وخدع وكذب وافترى واستغاب وظلم نفسه وظلم الآخرين وهو يحسب أنه يحسن صنعا ، فليس هذا بطالب علم ولو حفظ الدفاتر وقرأ الكتب وصار يشار إليه بالبنان ، لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال : خصلتان لا تجتمعان في منافق حسن سمت وفقه في الدين أخرجه الترمذي من حديث أبي هريرة وقال حديث غريب وصححه العلامة الألباني في السلسلة رقم ٢٧٨ .

فالنجاة باجتماعهما أما فقه في دين بغير حسن سمت وخلق كريم وأدب قويم فليس ذا خيرا فليتهم نفسه من تلبس بالأخلاق الرذيلة وفعل الفعائل المشينة في نفسه وفي الآخرين وهو يطلب العلم وقدقيل : العلم نوره الخلق وأساسه السمت الحسن .

كما قال النبي صلى الله عليه وسلم (إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق[٢]

---

(١) أخرجه البيهقي من حديث سهل بن سعد وابن حبان والطبراني والخرائطي والحاكم وابن عساكر وصححه العلامة الألباني في السلسلة رقم ١٣٧٨

(٢) أخرجه أحمد والحاكم والبيهقي من حديث أبي هريرة

ولما سئلت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها عن خلق النبي قالت كان خلقه القرآن ، وماذا قال القرآن عن القرآن **(إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم)**

وقد قال الله تعالى : **لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة**""

رابعاً : تقوى الله

قال الله سبحانه وتعالى : يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا وَيُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ (١)

وقال تعالى يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤۡتِكُمۡ كِفۡلَيۡنِ مِن رَّحۡمَتِهِۦ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ نُورٗا تَمۡشُونَ بِهِۦ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ(٢)

وقال مسروق – رحمه الله - : كفى بالمرء علماً أن يخشى الله تعالى وكفى بالمرء جهلا أن يعجب بعلمه(٣).

وقال أبوالدرداء رضي الله عنه : لا تكون تقياً حتى تكون عالماً ولا تكون بالعلم جميلاً حتى تكون به عاملا(٤)

وقال العلامة ابن عثيمين رحمه الله تعالى : الأسباب المعينة على طلب العلم كثيرة منها التقوى وهي وصية الله للأولين والآخرين من عباده قال تعالى : ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وإياكم أن اتقوا الله(٥)

---

(١) سورة الأنفال – الآية ٢٩

(٢) سورة الحديد – الآية ٢٨

(٣) الطبقات الكبرى لابن سعد ٨٠/٦

(٤) رواه ابن عبد البر رقم ١٢٣٩ وهو صحيح

(٥) كتاب العلم ص٥٧

خامساً : التخلق بالزهد .

على طالب العلم أن يتحلى بالزهد في الدنيا والتقلل منها بقدر الإمكان الذي لا يضر بنفسه أو بعياله فإن ما يحتاج إليه لذلك على الوجه المعتدل من القناعة ، وليس هذا أن يخلو من الدنيا كلها وأقل درجات العالم أن يستقذر التعلق بالدنيا لأنه أعلم الناس بخبثها وسرعة زوالها وكثرة تعبها ونصبها فهو أحق الناس بعدم الإلتفات إليها والإنشغال بهمومها

فإليك ياطالب العلم نماذج من زهد العلماء وأهل الفضل .

قال صالح بن أحمد بن حنبل يحكي عن أبيه: كان كثيراً ما يأتدم بالخل وربما رأيته يأكل الكسرفينفض الغبار عنها ثم يصيرها في قصعة ويصب عليها الماء حتى تلين ثم يأكله بالملح وما رأيته قط اشترى رماناً ولاشيئاً من الفاكهة إلا أن يشتري بطيخة فيأكلها بالخبز أو عنباً أو تمراً فأما غير ذلك فما رأيته وما اشتراه رحمه الله[١]

وعن إبراهيم بن محمد بن النتشر عن أبيه عن مسروق أنه كان لا يأخذ على القضاء أجراً ويتأول هذه الآية (إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة)[٢]

وعن حمزة بن عبدالله بن عتبة بن مسعود قال بلغني أن مسروقاً أخذ بيد ابن أخ له فارتقى به على كناسة بالكوفة قال ألا أريكم الدنيا ؟ هذه الدنيا أكلوها فأفنوها ، ولبسوها فأبلوها ، وركبوها فأمضوها ، سفكوا فيها دماءهم واستحلوا منها محارمهم وقطعوا فيها أرحامهم[٣]

فهذا محمد بن عقبة قال سمعت الأصمعي يقول كان مسروق يتمثل :

ويكفيك مما أغلق الباب دونه وأرخى عليه الستر ملح وجردق
وماء فرات بارد تغتذي به تعارض أصحاب الثريد المبّلق
تجشّا إذا ماهم تجشّوا كأنما غذيت بألوان الطعام المبّلق

---

(١) سيرة الإمام أحمد لأبي الفضل صالح بن أحمد بن حنبل ص٤١

(٢) حلية الأولياء ٩٦/٢

(٣) حلية الأولياء ٩٦/٢-٩٧

وعن ميمون بن مهران قال قرأ عمربن عبدالعزيز رضي الله عنه قوله تعالى : ألهاكم التكاثر "" فبكى ثم قال "" حتى زرتم المقابر "" ما أرى المقابر إلا زيارة ؟ ولابد لمن زار أن يرجع إلى الجنة أو النار[١]

وعن سعيد بن سويد أن عمر بن عبدالعزيز صلى بهم الجمعة ثم جلس وعليه قميص مرقوع الجيب من بين يديه ومن خلفه فقال له رجل يا أمير المؤمنين إن الله قد أعطاك فلو لبست ؟! فنكس ملياً ثم رفع رأسه فقال أفضل القصد عند الجده وأفضل العفو عند المقدرة[٢]

حتى قال مالك بن دينار الناس يقولون مالك زاهد وإنما الزاهد عمر بن عبدالعزيز الذي اتته الدنيا فتركها[٣]

ومن الأشعار التي تدل على زهد وورع عمربن عبدالعزيز رضي الله عنه .

أيقظان أنت اليوم أم انت نائم وكيف يطيق النوم حيران هائم

فلو كنت يقظان القداة لحرقت محاجز عينيك الدموع السواجم

نهارك يا مغرورسهروغفلة وليلك نوم والردى لك لازم

وتشتغل فيما سوف تكره غبة كذلك في الدنيا تعيش البهائم

سادساً : الاستمرار والمداومة في طلب العلم .

وقد كان أحب العمل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أدومه فكم من طالب أعطاه الله فهما ورزقه بالذكاء ولكنه ما استفادمنها في طلب العلم وتحصيله ، فهذا أبوهريرة رضي الله عنه يقول : لقد كنت امرءً مسكيناً ألزم رسول الله صلى الله عليه وسلم على ملئ بطني، فصار أبوهريرة حافظ الصحابة رضوان الله عليهم .

وسفيان بن عيينة لازم عمروبن دينار نحوعشرين سنة فصارأثبت الناس فيه ،

(١) سيرة عمر بن عبدالعزيز لابن الجوزي ص٢١٨ وانظر الحلية ٢١٧/٥

(٢) حلية الأولياء ٢٦١/٥ وسير أعلام النبلاء ١٣٤/٥ وطبقات ابن سعد ٤٠٢/٥

(٣) تاريخ الخلفاء ص٢٣٤ وسير أعلام النبلاء ١٣٤/٥

ويكون هذا الإستمرار مع محبة العلم والرغبة فيه

ولقد أحسن من قال وهو جار الله الزمخشري رحمه الله [١]

سهري لتنقيح العلوم ألذّ لي — من وصل غانية وطول عناق

وتمايلي طرباً لحل عويصة — أحلى وأشهى من مدامة ساقي

وصرير أقلامي على أوراقها — أحلى من الدوكاة والعشاق

وألذّ من نقر الفتاة لدفها — نقري لألقي الرمل عن أوراقي

أأبيت سهران الدجى وتبيته — نوماً ويبغي بعد ذاك لحاقي

وقال الإمام مالك رحمه الله : لا ينبغي لأحد يكون عنده العلم أن يترك العلم[٢]

وقال العلاّمة بن عثيمين رحمه الله : المثابرة والاستمرار على طلب العلم يتعين على طالب العلم أن يبذل الجهد في إدراك العلم والصبر عليه وأن يحتفظ بعد تحصيله[٣]

سابعاً : التواضع لله وترك الكبر .

قال الله سبحانه وتعالى : سَأَصۡرِفُ عَنۡ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَإِن يَرَوۡاْ كُلَّ ءَايَةٖ لَّا يُؤۡمِنُواْ بِهَا وَإِن يَرَوۡاْ سَبِيلَ ٱلرُّشۡدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلٗا وَإِن يَرَوۡاْ سَبِيلَ ٱلۡغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلٗاۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ عَنۡهَا غَٰفِلِينَ[٤]

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر (الكبر بطر الحق وغمط الناس[٥]

---

(١) وكان رحمه الله معتزلياً جلداً

(٢) رواه ابن عبدالبر رقم ٥٧٩

(٣) كتاب العلم ص٦٠

(٤) سورة الأعراف – الآية ١٤٦

(٥) رواه مسلم من حديث ابن مسعود

وقال عمر رضي الله عنه : إن العبد إذا تواضع لله رفعه الله تعالى[١] .

قال الفضيل – رحمه الله تعالى - : إن الله عزّ وجل يحب العالم المتواضع ويبغض العالم الجبار ومن تواضع لله ورثه الله الحكمة[٢] .

وقال أيوب السختياني – رحمه الله - : ينبغي للعالم أن يضع التراب على رأسه تواضعاً لله عزّ وجلّ.

وسئل الفضيل : عن التواضع ؟ فقال : أن تخضع للحق وتنقاد له ممن سمعته[٣] .

وقال مالك بن دينار – رحمه الله - : من تعلم العلم للعمل كسره ومن تعلم العلم لغير العمل زاده فخراً .

ولقد أحسن من قال :

تواضع تكن كالنجم لاح لناظر على طبقة الماء وهو رفيع

وقال شيخ الإسلام – رحمه الله - : إن الله يبغض المختال الفخور البخيل به وهذا كثيراً ما يقع عند بعض الناس أنه يبخل بما عنده من العلم ويختال به وضد ذلك التواضع في طلبه وبذله والتكرم بذلك[٤] .

ولله در القائل :

العلم حرب للفتى المتعالي كالسيل حرب للمكان العالي

---

(١) رواه ابن عبدالبر رقم ٩٤٨ وغيره

(٢) رواه الآجري في أخلاق العلماء ص٧٩

(٣) رواه ابن عبدالبر رقم ٩٨٧ والخطيب في اقتضاء العلم للعمل

(٤) مجموع الفتاوى ٢١٣/١٤

ونختم هذا الباب بدرر من كلام الإمام المبجل محمد بن إدريس الشافعي رحمه الله تعالى :

إذا رمت أن تحيا سليماً من الردّى ودينك موفور وعرضك صيّن

فلا ينطقن منك اللسان بسوأة فكلك سوءات وللناس ألسن

وعينا إن أبدت إليك معايباً فدعها وقل يا عين للناس أعين

وعاشر بمعروف وسامح من اعتدى ودافع ولكن بالتي هي أحسن

الباب الثالث .
توقير العلماء واحترامهم

تتجلى بوضوح منزلة العلماء التي خصهم بها الشارع الحكيم من دون سائر أصناف العالمين كونهم مبلغين عن الله دينه ووصاياه وناشرين بين الورى نوره وهداه وهادين إلى صراطه المستقيم وداعين إلى شرعه القويم ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين ،

العلماء الربانيون هم مصابيح الدجى ومنارات الهدى وهم معدن الخير ومعانه وموضع الرشد ومكانه من استرشد بهم أرشدوه ومن سلك سبيلهم وصل ومن تشبه بهم أفلح ومن لزم غرزهم نجح ورجح ، ولأجل هذه المكانة والمنزلة التي خصهم الله بها فنحن يا طلبة العلم مأمورون بتوقيرهم وإجلالهم ومحبتهم .

وكذلك الذب عنهم ومعرفة حقهم وإقالة عثرة من أخطأ منهم والتماس أحسن المعاذير لهم .

ومن آداب التعامل مع العلماء :

ما ذكره أهل العلم والعمل من الآداب التي يسلكها المتعلم وغيره مع العلماء وهي كثيرة جداً ويطول سردها في مثل هذه الرسالة ولأهميتها أفردها غير واحد من أهل العلم بمصنفات مستقلة أو ضمنوها في بعض تصانيفهم .

ومما جاء في لآداب التي ذكروها ألا يخاطب الشيخ بتاء الخطاب وكافه ولا يناديه من بُعده ولا يسميه في غيبته باسمه إلامقروناً بما يشعر التعظيم اللائق به كقوله قال الشيخ أو شيخنا وأن يعظم حرمته ويرد غيبته ويغضب لها فإن عجز عن ذلك قام وفارق ذلك المجلس وأن يدعو له مدة حياته وبعد مماته ويرعى ذريته وأقاربه بعد وفاته وأن يصبر على جفوته ،

كما قال الإمام الشافعي – رحمه الله تعالى –

اصبر على مرّ الجفا من معلم فإن رسوب العلم في نفراته

ومن لم يذق مرّ التعلم ساعة تجرع ذل الجهل طول حياته

ومن فاته التعليم وقت شبابه فكبر عليه أربعاً لوفاته

وأن يشكر له وأن لا يدخل عليه في غير المجلس العام إلا باستئذان وإن دخل عليه في غير مجلس العام وعند الشيخ من يتحدث معه أو كان الشيخ يصلي أو يكتب أو يطالع فترك الشيخ ما كان بيده ولم يبدأ بكلام أو بسط حديث فليسلم ذلك الداخل وليخرج سريعاً ، إلا أن يحثه الشيخ على المكث وإذا مكث فلا يطيل إلا أن يأمره بذلك ، وأن يجلس بين يديه جلسة أدب ويصغي إليه ناظراً إليه ويقبل بكليته عليه متعقلاً بقوله ولايلتفت من غير ضرورة ولا ينظر إلى يمينه أو شماله أو فوقه أو قدامه بغير حاجة ولا سيما عند كلامه معه ولا يعطي الشيخ جنبه أو ظهره ولا يكثر التنحنح من غير حاجة وأن يحسن خطابه مع الشيخ قدر الإمكان ولا يقاطعه في كلامه إلى آخر تلك الآداب التي تدل على شرف المعنيّ بها

ومن عوائق تلك الآداب الآنفة ذكرا التقليل من شأن العلماء أو تهوين أمرهم فالحذر كل الحذر ياطالب العلم من الجرأة باللسان والبنان على صفحة العلماءفإن هذا يفتح باب الشرّ والفساد ويغلق باب الخير والرّشاد .

لا تكن يا طالب العلم مفتاحاً للشر مغلاقاً للخير وأزيدك من الشعر بيتاً أن ظاهرة تنقيص العلماء من سمات أهل البدع كالمعتزلة ومن نحا نحوهم من أهل البدع والضلالة ونعوذ بالله أن نكون منهم

ومن مظاهر تنقيص العلماء محاكاتهم في أصواتهم وهيئاتهم الخلقية والخلقية بقصد السخرية والإستهزاء بهم وإضحاك جلسائه عليهم ،

ومنها عدم التوقير لهم عند حضورهم وإظهار التسخط عند سماع بعض أشرطتهم أو ذكر بعض كتبهم بحجة أن ذلك العالم أو أولئك العلماء قد اختاروا قولاً يخالف ما تهوى نفسه أو ما أفتاه به شيخه ، ومع أن المسألة مسألة اجتهادية الخلاف فيها سائغ ،

ومنها أن تقارن سيرهم بسيرة غيرهم من الناس ممن لم يعرفوابالعلم فضلا عن التضلع منه .

ومنها بل وأشدها خطراً على الأمة والعلماء تتبع أخطائهم وزلاتهم ومن ثم نشرها في كل مجلس عند كل أحد فيقوم أولئك الصنف من الناس بالاستقراء والتتبع الدقيق لعالم من العلماء (ودائماً مقصودي من العلماء، هم العلماء الربانيون من أبناء الطائفة المنصورة الذين سلكوا نهج سلف هذه الأمة وإن كان لهم زلاّت لأن من عمل لابد أن يخطئ) فيتواصون على قراءة كتبه ورسائله وما نشر أو لم ينشر من فتاويه إضافة إلى سماع أشرطته كل ذلك بقصد تصيد الأخطاء واللزلات عياذاً بالله العظيم .

وأذكر في هذا المجال مقولة لعمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه : إن استطعت فكن عالماً فإذا لم تستطع فكن متعلماً فإن لم تستطع فأحبهم فإن لم تستطع فلا تبغضهم .

ولا ريب أن احترام العلماء وتقديرهم من الأمور الواجبة شرعاً وإن خالفناهم في الرأي والعلماء ورثة الأنبياء قد ورثوا العلم وأهل العلم لهم حرمة ،

وقد وردت نصوص كثيرة في تقدير العلماء واحترامهم والتي سبقت لنا في باب فضل العلم والعلماء ، وقد بوّب الإمام النووي (باب توقير العلماء والكبار وأهل الفضل وتقديمهم على غيرهم ورفع مجالسهم وإظهار مرتبتهم) وذكر قوله تعالى : قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون . ثم ساق طائفة من الأحاديث في إكرام العلماء والكبار، ومن أراد النظر فيها فليقرأ كتاب رياض الصالحين للإمام النووي .

لا تحقرن عالماً وإن خلقت ... أثوابه في عيون رامقة

وانظر إليه بعين ذي أدب ... مهذّب الرأي في طله ثقر

فالمسك بينا تراه ممتهنا ... بفهر عطاره وساحقه

حتى تراه في عارضي ملك ... وموضع التاج من مفارقه

وعن أبي سعيدالخدري رضي الله عنه قال كنا جلوساً في المسجد إذ خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلس إلينا فكأن على رؤسنا الطير لا يتكلم أحد منا[١] .

وهذا عبدالله بن عباس رضي الله عنهما مع جلالته ومنزلته كان يأخذ بركاب دابة زيدبن ثابت الأنصاري ويقول هكذا أمرنا أن نفعل بعلمائنا[٢] .

ونقل كثير من علماء السلف وأعلامهم كما في سير أعلام النبلاء قولهم : ما صليت إلا ودعوت لوالدي ولمشائخي جميعاً .

وقال أحمد بن حنبل لزمت هشيماً (ابن بشير) أربع سنين ما سألته عن شئ إلا مرتين هيبة منه[٣] .

ولذا ينبغي للمستفتي أن يحفظ الأدب مع المفتي ويبجله في خطابه وسؤاله ونحوذلك ولا يومئ بيده في وجهه ولا يقول له ما يحفظ في كذا كذا ؟ وما مذهب إمامك الشافعي في كذا كذا ؟ ولا يقل إذا أجابه ، هكذا قلت أنا أو كذا وقع لي ولا يقل له أفتاني فلان كذا أو أفتاني غيرك بكذا وكذا ، وما ذاك إلا لمعرفة قدرهم وجمع شملهم والإستفادة من علمهم بحسن الأدب والتلطف في السؤال .

وما أحسن قول القائل :

إذا أفادك إنسان بفائدة من العلوم فأدلي شكره أبدا
فقل فلان جزاه الله صالحة أفادنيها وألق الكبر والحسدا

---

(١) رواه البخاري

(٢) أخرجه الحاكم

(٣) تذكرة الحافظ ٢٤٩/١

الباب الرابع
حفظ الوقت

اهتم الإسلام بالوقت وقد أقسم الله به في آيات كثيرة فقال الله تعالى وَٱلۡعَصۡرِ ۝١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ۝٢ وقال تعالى وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ ۝١ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ۝٢ كما قال الله تعالى وَٱلۡفَجۡرِ ۝١ وَلَيَالٍ عَشۡرٍ ۝٢ وغيرها من الآيات التي تبين أهمية الوقت وضرورة اغتنامه في طاعة الله ، وهناك أيضا أحاديث كثيرة وردت عن النبي صلى الله عليه وسلم تدل على أهمية الوقت وتحث على الاستفادة منه ما ينفع في الدنيا والآخرة :

أخرج البخاري وغيره من حديث ابن عباس رضي الله عنهما :قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : نعمتان مغبون فيهماكثير من الناس الصحة والفراغ .

وأيضا من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أعذر الله إلى امرئ أخر عمره حتى بلغه ستين سنة .

وأخرج الترمذي من حديث أبي برزة الأسلمي : لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن عمره فيم أفناه ؟ وعن علمه فيم فعل ؟ وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه ؟ وعن جسمه فيم أبلاه ؟

فالآيات والأحاديث تشير إلى أهمية الوقت في حياة المسلم لذلك فلابد من الحفاظ عليه وعدم تضييعه في أعمال قد تجلب علينا الشر وتبعدنا عن طريق الخير, فالوقت يمضي ولا يعود مرة أخرى

ولذلك فإن للوقت عند الطالب المجتهد التقي النقي المخترع الذكي منزلة عظيمة ومكانة جليلة ، سعياً إلى مراق الكمال وانطلاقاً إلى قمم الجبال بإستغلال الوقت يصبح الثبات رمزاً في حياته ويرسم به معالم شخصيته وبذلك يكون الطالب التقي سعيداً في دنياه وآخرته .

قال العلاّمة الدكتور بكرأبوزيدرحمه الله تعالى : تحت عنوان المحافظة على رأس المال "" الوقت للتحصيل فكن حلف عمل لا حلف بطالة وبطر وحلس معمل لا حلس تله وسمر فالحفظ على الوقت بالجد والإجتهاد وملازمة الطلب ومثافنة الأشياخ ولإشتغال بالعلم قراءة وإقراء ومطالعة وتدبراً وحفظاً وبحثاً لا سيما في أوقات شرخ الشباب ومقتبل العمر ومعدن العافية فأغتنم هذه الفرصة الغاليةلتنال رتب العلم العالية فإنها جمع القلب وإجماعة الفكر لقلة الشواغل والصوارف عن التزامات الحياة والترؤس ولخفة الظهر والعيال[١] .

ودونك يا أخي الطالب : دراً مقتطفات ونماذج منتخبات من سير الأئمة والعلماء في الحفاظ على الوقت ومعرفة قيمته وأهميته .

١/ قال ابن مسعود رضي الله عنه : إني لأمقت الرجل أن أراه فارغاً ليس في شئ من عمل الدنيا والآخرة[٢] .

٢/ قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : إني لأكره أن أرى أحدكم سبهللا لا في عمل دنيا ولا في عمل آخرة[٣] .

٣/ وقال الشافعي رحمه الله : صحبت الصوفية فلم أستفد منهم سوى حرفين :

أحدهما : قولهم الوقت سيف فإن لم تقطعه قطعك – وذكر كلمة أخرى وهي : نفسك إن شغلتها بالحق و إلا شغلتك بالباطل[٤] .

وهذا الإمام البخاري رحمه الله يستيقظ في الليلة الواحدة من نومه فيوقد السراج ويكتب الفائدة تمر بخاطره ثم يطفئ سراجه ثم يقوم مرة أخرى وأخرى ، حتى كان يتعدد ذلك منه في الليلة الواحدة قريباً من عشرين مرة[٥] .

---

(١) المجموعة العلمية / حلية طالب العلم ص٦٤

(٢) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه باب كلام الصحابة وأحمد في كتاب الزهد ورجاله رجال الصحيح

(٣) أورده الزمخشري في تفسيره سورة الإنشراح

(٤) لم أقف عليه

(٥) البداية والنهاية ٢٨/١١

وعندما سئل ابن المبارك إلى كم تكتب الحديث ؟ قال لعل الكلمة التي أنتفع بها لم أسمعها بعد .

٤/ قال أبوبكرالنيسابوري : مخبراً عن نفسه لقد أقمت أربعين سنة لاأنام الليل إلا جاثياً وصليت الفجر بوضؤ العشاء أربعين سنة وهذا كله قبل أن أعرف أم عبدالرحمن إيش أقول لمن زوجني!!! ثم قال ما أراد إلا الخير[1]

فما أحسن قول الشاعر :

الوقت أنفس ما عنيت بحفظه وأراه أسهل ما عليّ يضيع .

فيا طالب العلم : أوصيك ونفسي أن نجدّ في طلب العلم وأن نحفظ أوقاتنا فما أكثر ما تضيع الأوقات للأسف الشديد ونرى كثيراً من طلبة العلم اليوم يقضون أوقاتهم في مجالس القهوى ومتابعة الأخبار الإذاعية في كافة أوقاتهم.

ما طمعت لذة العيش حتى صرت للبيت والكتاب جليساً
ليس شئ أعزّ عندي من العلم فلم أبتغ سواه أنيســــــــاً
إنما الذل في مخالطة الناس فدعهم وعش عزيزاً رئيساً

(١) تذكرة الحافظ ٣/٨٢٠

الباب الخامس
الهمة العالية في طلب العلم

فإن الهمة العالية خصلة شريفة وخلّة حميدة وخلق رفيع وأدب سام تحنّ إليها قلوب الكرام وتهفو إلى اكتسابها نفوس الأبطال والناس إنما تعلو أقدارهم وترتفع منازلهم بحسب أنصبتهم من علو الهمة وشرف المقصد كما قال النبي صلى الله عليه وسلم (إن الله يحب معالي الأمور ويكره سفسافها) وكما قال ابن الجوزي رحمه الله : تأملت سبب الفضائل فإذا هو علو الهمة . وقال ايضا رحمه الله : كمال العقل علو الهمة والراضي بالدون دنيئ .

فمن علت همته اتصف بكل جميل ، ومن دنت همته اتصف بكل خلق رذيل و إن عالي الهمة يجود بالنفس والنفيس في تحصيل غايته وتحقيق بغيته لأنه يعلم أن المكارم منوطة بالمكاره وأن المصالح والخيرات واللذات والكمالات كلها لا تنال إلا بحظ من المشقة ولا يعبر إليها إلا على جسر التعب كما قال القائل :

بصرت بالراحة الكبرى فلم أرها تنال إلا على جسر من التعب

فقل لمرجّي معالي الأمور بغيراجتهاد رجوت المحالا.

وإن مما يلاحظ على أمة الإسلام في عصورها المتأخرة دنو الهمم والرضا بالدون والقعود عن معالي الأمور والانشغال بالسفاسف والمحقرات وذلك على مستوى الأفراد والجماعات إلا من رحم ربك وقليل ما هم ولقد صدق عليهم قول الإمام الشوكاني رحمه الله تعالى :

كن ناسكاً تبتلا أورائساً تبجلى

وعدّعن محمق قصّر عن أن ينبلى

يصده قعوده وعجزه عن العلا

وقال الإمام ابن القيم رحمه الله: إنما تفاوت القوم بالهمم لا بالصور ""

أما أن نزين أنفسنا ونزخرف ظواهرنا وحقيقتنا غير ذلك فليس هذا ما يرفعنا عند ربنا .

واعلم أخي طالب العلم : أن سلف هذه الأمة من العلماء والأدباء كانت أخبارهم أعطر الأخبار وجاءت آثارهم أطيب الآثار فلا عجب أن كان الحديث عنهم محلاّة للقلوب من الصدأ والكسل ومدعاة لتحريك الهمة للجدّ والعمل

يقول ابن الجوزي متحدثاً عن الأئمة أصحاب العزائم والهمم كانت هم القدماء من العلماء علية تدل عليها تصانيفهم التي هي زبدة أعمارهم . إلا أن أكثر تصانيفهم دثرت ، لأن همم الطلاب ضعفت ، فصاروا يطلبون المختصرات ولا ينشطون للمطولات . ثم اقتصروا على ما يدرسون به من بعضها فدثرت الكتب ولم تنسخ فسبيل طالب الكمال في طلب العلم والاطلاع على الكتب التي قد تخلفت من المصنفات ، فليكثر من المطالعة فإنه يرى من علوم القوم وعلو هممهم ما يشحذ خاطره ويحرك عزيمته للجد، وما يخلو كتاب من فائدة انتهى كلامه رحمه الله ، أعوذ بالله من سير هؤلاء الذين نعاشرهم ، لا نرى فيهم ذا همة عالية فيقتدي بها المبتدي ، ولا صاحب ورع فيستفيد منه الزاهد رحم الله ابن الجوزي وهو يعاتب على أهل زمانه ، فكيف به لو رأى أهل زماننا ، وقد تيسرت لهم أبواب العلم ولكنهم عزفوا عنها ، هي بين أيديهم وتحت متناولهم ولكن أصحاب الهمم قلائل وأهل العزائم نوادر إن لله و إنا إليه راجعون .

هاأنا ياطالب العلم أنقل لك فصلاً من كتاب قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث لجمال الدين القاسمي – وبالمناسبة الشيخ جمال الدين القاسمي توفي سنة ١٩٤١ وهي نفس السنة التي ولد الشيخ الألباني فأفل نجم وبزغ نجم وكلاهما من دمشق الشام - وقد سمي هذا الفصل:

ذكر أرباب الهمة الجليلة في قراءتهم كتب الحديث في أيام قليلة :

ذكر في ترجمة المجد الفيروز أبادي صاحب القاموس(واسمه القاموس المحيط أو الوسيط في جمع ما تفرق من كلام العرب شناطيط وهو مطبوع في مجلدين شرحه الزبيدي من علماء الزبيد في اليمن المتأخرين بأكثر من ثلاثين مجلداً) أنه قرأ صحيح مسلم في ثلاثة أيام بدمشق وأنشد

قرأت بحمد الله جامع مسلم بجوف دمشق الشام جوف لإسلام
على ناصر الدين الإمام بن جهبل بحضرة حفاظ مشاهير أعلام
وتم بتوفيق الإله وفضله قراءة ضبط في ثلاثة أيام)

وقرأ الحافظ أبو الفضل العراقي صحيح مسلم على محمد بن إسماعيل الخباز بدمشق في ستة مجالس متوالية قرأ في آخر مجلس منها أكثر من ثلث الكتاب وذلك بحضور الحافظ زين الدين بن رجب وهو يعارض بنسخته وفي تاريخ الذهبي في ترجمة إسماعيل ابن احمد الحيري النيسابوري الضرير ما نصه ((وقد سمع عليه الخطيب البغدادي بمكة صحيح البخاري بسماعه من الكشميهني في ثلاثة مجالس اثنان منها في ليلتين كان يبتدئ بالقراءة وقت المغرب ويختم عند صلاة الفجر والثالث من ضحوة النهار إلى طلوع الفجر)) قال الذهبي ((وهذا شيء لا أعلم أحداً في زماننا يستطيعه)) انتهى وقال الحافظ السخاوي ((وقع لشيخنا الحافظ ابن حجر أجل مما وقع لشيخه المجد اللغوي فإنه قرأ صحيح البخاري في أربعين ساعة رملية وقرأ صحيح مسلم في أربعة مجالس سوى مجلس الختم في يومين وشيء وقرأ سنن ابن ماجه في أربعة مجالس وقرأ كتاب النسائي الكبير في عشرة مجالس كل مجلس منها نحو أربع ساعات وقرأ صحيح البخاري في عشرة مجالس كل مجلس منها أربع ساعات)) ثم قال السخاوي ((وأسرع شيء وقع له – أي لابن حجر – أنه قرأ في رحلته الشامية معجم الطبراني الصغير في مجلس واحد بين صلاتي الظهر والعصر قال وهذا الكتاب في مجلد يشتمل على نحو ألف حديث وخمسمائة حديث))

والعبد الضعيف جامع هذا الكتاب(الشيخ يحكي عن نفسه) قدمنّ الله عليه بفضله فأسمع صحيح مسلم رواية ودراية في مجالس من أربعين يوماً آخرها في ٢٨ من شهر صفر الخير سنة (١٣١٦) وأسمع أيضاً سنن ابن ماجه كذلك في مجالس من إحدى وعشرين يوماً آخرها في ٢٢ من شهر ربيع الأول سنة (١٣١٦) وأسمع أيضاً الموطأ كذلك في مجالس من تسعة عشر يوماً آخرها في ١٥ من شهر ربيع الآخر سنة (١٣١٦) وطالعت بنفسي لنفسي ((تقريب التهذيب)) للحافظ ابن حجر مع تصحيح سهو القلم فيه وضبطه وتحشيته من نسخة مصححة جداً في مجالس من عشرة أيام آخرها في ١٨ من شهر ذي الحجة سنة (١٣١٥) أقول وهذه الكتب قرأتها بإثر بعضها فأجهدت نفسي وبصرى حتى رمدت بأثر ذلك شفاني الله بفضله وأشفقت من العودة إلى مثل ذلك وتبين أن الخيرة في الاعتدال انتهى . نعم لا ينكر أن بعض النفوس لا تتأثر بمثل ذلك لقوة حواسها وللإنسان بصيرة على نفسه وهو أدري بها . كما يقال وليس بحديث : رحم الله امرءاً عرف قدر نفسه . وأصدق من هذاقول ربنا جلّ وعلا : **بل الإنسان على نفسه بصيرة ولو ألقى معاذير""**

وألق سمعك ياطالب العلم إلى مقالة تحكي عن واقعنا ، وقد قلّ العلماء وندر طلبة العلم واتجهت الأمة إلى العلوم العصرية وتركوا التفقه في الدين وما يجب معرفته من الدين ، فأما علم طريق الآخرة وما درج عليه السلف الصالح مما سماه الله سبحانه في كتابه فقهاً وحكمة وعلماً وضياء ونوراً وهداية ورشداً فقد أصبح من بين الخلق مطوياً وصار نسياً منسيا ، أليس هذا هو واقعنا وما نراه ونشاهده حتى أنك ترى جهلاً بأمور العقيدة وخللاً في صلاة كثير من المصلين وجهلاً بأصول الدين دون فروعه التي لا يعرفها إلا قلة على عدد الأصابع في كل مدينة فالله المستعان

فشمر يا طالب العلم عن ساق الجد سائلاً الله سبحانه وتعالى من فضله الإرادة الصادقة والعلم النافع واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشيّ يريدون وجهه .

ونختم هذا الباب بدرر من من وصية ابن الوردي لابنه في لاميته المشهورة والتي هي وصية لكل ابن طالب علم على مرّ الأيام وتعاقب السنين .

أي بني ! اسمع وصايا جمعت حكماً خصّت بها خير الملل
اطلب العلم ولا تكسل فما أبعد الخير على أهل الكسل
احتفل للفقه في الدين ولا تشتغل عنه بمال وخول
واهجر النوم وحصّله فمن يعرف المطلوب يحقر ما بذل
لا تقل قد ذهبت أربابه كل من سار على الدرب وصل

وختاماً أخي طالب العلم : أمة الإسلا م تنتظر أنت وأمثالك فارفع من شأن هذا الدين بهمتك العلياء وبادر بالأعمال وأخلص النية وجدد العزم ودع الفراغ وابدأ العمل وهذب نفسك وانظر إلى عيبها فأصلحه أعاننا الله فعليك العمل بالقول وعلى النصح بالقبول ، سدد الله الخطى ومنح الجميع التقوى وحسن العاقبة في الآخرة والأولى .

وناديت اللهم يا خير سامع أعدني من التسميع قولاً ومفعلا
لعلّ إله العرش ياإخوتي يقي جماعتنا كل المكاره هولا
وبالله حولي واعتصامي وقوتي وما لي إلا ستره متجللا

الفـهـرس

الموضوعات الصفحة

الاهداء ١
الشكر والعرفان ٢
فاتحة الرسالة ٨
فضل العلم والعلماء ١٠
آداب طالب العلم نفسه ١٦
توقير العلماء واحترامهم ٢٦
حفظ الوقت..... ٣٠
الهمة العالية في طلب العلم ٣٣

فانظر إليها نظر المستحسن وحسن الظنّ بها وأحسن
وإن تجد عيباً فسدّ الخللا فجلّ من لا عيب فيه وعلا

تم بحمد الله

قائمة المصادر والمراجع

١/ القرآن الكريم

٢/ صحيح البخاري

٣/ صحيح مسلم

٤/ تذكرة السامع والمتكلم / الأمام بن جماعة

٥/آدب الطلب ومنتهى الأرب / الإمام الشوكاني

٦/ الفقيه والمتفقه/ الخطيب البغدادي

٧/ حلية طالب العلم/ الشيخ الدكتور بكر أبوزيد

٨/ حلية الأولياء / أبونعيم الأصفهاني

٩/ سير أعلام النبلاء / الإمام الذهبي

١٠/ طبقات ابن سعد

١١/ آداب طالب العلم / محمد بن سعيد بن رسلان